**بســـــــم الله الرحمن الرحیم**

رسالة الانسان قبل الدنيا

الرسائل التوحيدية، ص: 165

فتحصل من الجميع أن فوق عالم الأجسام و فيه نظام التدريج عالما آخر يشتمل على نظام موجودات غير تدريجية أي غير زمانية يتفرع كل موجود زماني من مظروفات نظام التدريج على ما هنالك من الموجودات الأمرية و هي محيطة بها موجودة معها قائمة عليها كما يفيده (فالتدبير و هو الإتيان بالأمر دبر الأمر و عقيبه يصدر من العرش أوّلا ثم يتنزل الأمر من سماء إلى سماء و قد أوحى إلى كل سماء ما يختص بها من الأمر فإن الأمر كلمته سبحانه فإلقائه إلى شي‏ء وحي منه إليه و لا يزال يتنزل سماء سماء حتى ينتهي إلى الأرض ثم يأخذ في العروج فهذا هو المتحصل من الآيات) قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ (یونس/3) و قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ‏ (سجده/4و5) و قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوى‏ إِلَى السَّماءِ إلى أن قال تعالى: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى‏ فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها (فصلت/11و12) و قوله سبحانه: خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَ‏ (طلاق/12) الآيات.

و هي مع ذلك تفيد أن الأمر… الخ.

**كلام‏ في‏ معنى العرش‏**

للناس في معنى العرش بل في معنى قوله ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ و الآيات التي في هذا المساق مسالك مختلفة فأكثر السلف على أنها و ما يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه و هؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية و التطلع إلى ما وراء ظواهر الكتاب و السنة بدعة و العقل يخطئهم في ذلك و الكتاب و السنة لا يصدقانهم فآيات الكتاب تحرض كل التحريض على التدبر في آيات الله و بذل الجهد في تكميل معرفة الله و معرفة آياته بالتذكر و التفكر و النظر فيها و الاحتجاج بالحجج العقلية و متفرقات السنة المتواترة معنى توافقها و لا معنى للأمر بالمقدمة و النهي عن النتيجة...و أما طبقات الباحثين فقد اختلفوا في معناه على أقوال...

3- أن لا مصداق للعرش خارجا و إنما قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ و الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى‏ كناية عن استيلائه تعالى على عالم الخلق و كثيرا ما يطلق الاستواء على الشي‏ء على الاستيلاء عليه كما قيل

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قد استوى بشر على العراق‏ |  |  من غير سيف و دم مهراق‏ |

أو أن الاستواء على العرش معناه الشروع في تدبير الأمور كما أن الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة أمور مملكتهم استووا على عروشهم و جلسوا عليه و الشروع و الأخذ في أمر و جميع ما ينبئ عن تغير الأحوال و تبدلها و إن كانت ممتنعة في حقه تعالى لتنزهه تعالى عن التغير و التبدل لكن شأنه تعالى يسمى شروعا و أخذا بالنظر إلى حدوث الأشياء بذواتها و أعيانها يومئذ فيسمى شأنه تعالى و هو الشمول بالرحمة إذا تعلق بها شروعا و أخذا بالتدبير ...

و فيه أن كون قوله ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ جاريا مجرى الكناية بحسب اللفظ و إن كان حقا لكنه لا ينافي أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية و السلطة و الاستيلاء و الملك و الإمارة و السلطنة و الرئاسة و الولاية و السيادة و جميع ما يجري هذا المجرى فينا أمور وضعية اعتبارية ليس في الخارج منها إلا آثارها على ما سمعته منا كرارا في الأبحاث الاعتبارية السابقة و الظواهر الدينية تشابه من حيث البيان ما عندنا من بيانات أمورنا و شئوننا الاعتبارية لكن الله سبحانه يبين لنا أن هذه البيانات وراءها حقائق واقعية و جهات خارجية ليست بوهمية اعتبارية

فمعنى الملك و السلطنة و الإحاطة و الولاية و غيرها فيه سبحانه هو المعنى الذي نفهمه من كل هذه الألفاظ عندنا لكن المصاديق غير المصاديق فلها هناك مصاديق حقيقية خارجية على ما يليق بساحة قدسه تعالى و أما ما عندنا من مصاديق هذه المفاهيم فهي أوصاف ذهنية ادعائية و جهات وضعية اعتبارية لا تتعدى الوهم و إنما وضعناها و أخذنا بها للحصول على آثار حقيقية هي آثارها بحسب الدعوى‏ و هذا هو الذي يسميه الله تعالى لعبا و لهوا إذ يقول وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ العنكبوت 64 فالمقاصد الدنيوية من زينة و مال و أولاد و تقدم و رئاسة و حكومة و أمثالها ليست إلا عناوين وهمية لا تحقق لها إلا في الأوهام و ليس الاشتغال بها لغير المقاصد الأخروية إلا اشتغالا بأمور وهمية و صور خيالية و لا المسابقة في تحصيلها إلا كمسابقة الأطفال في تحصيل التقدم في الملاعب التي يشتغلون بها و ليس إلا تحصيل حالة خيالية ليس منها في خارجة عين و لا أثر

و حاشا لله سبحانه أن يذم هذه الحياة الفانية الغارة و يسميها لعبا لما تشتمل عليه من الشئون الوهمية ثم يكون تعالى و تقدس أول اللاعبين!

و بالجملة قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ في عين أنه تمثيل يبين به أن له إحاطة تدبيرية لملكه يدل على أن هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزمة الأمور على كثرتها و اختلافها و يدل عليه آيات أخر تذكر العرش وحده و ينسبه إليه تعالى كقوله تعالى وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ التوبة 129 و قوله الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ المؤمن 7 و قوله وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ الحاقة 17 و قوله حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ الزمر 75

فالآيات- كما ترى- تدل بظاهرها على أن العرش حقيقة من الحقائق العينية و أمر من الأمور الخارجية و لذلك نقول إن للعرش في قوله ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ مصداقا خارجيا و لم يوضع في الكلام لمجرد تتميم المثل كما نقوله في أمثال كثيرة مضروبة في القرآن فلا نقول في مثل آية النور مثلا أن في الوجود زجاجة إلهية أو شجرة زيتونة إلهية أو زيتا إلهيا و نقول إن في الوجود عرشا إلهيا أو لوحا و قلما إلهيين و كتابا مكتوبا فافهم ذلك

… و في قوله ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ‏ بيان حقيقة أخرى و هي رجوع التخلف في التدبير إلى التدبير بعينه بواسطة الإذن فإن الشفيع إنما يتوسط بين المشفوع له المحكوم بحكم المشفوع عنده ليغير بالشفاعة مجرى حكم سيجري لو لا الشفاعة فالشمس المضيئة بالمواجهة مثلا شفيعة متوسطة بين الله سبحانه و بين الأرض لاستنارتها بالنور و لو لا ذلك لكان مقتضى تقدير الأسباب العامة و نظمها أن تحيط بها الظلمة ثم الحائل من سقف أو أي حجاب آخر شفيع آخر يسأله تعالى أن لا يقع نور الشمس على الأرض باستقامة و هكذا

فإذا كانت شفاعة الشفيع- و هو سبب مغير لما سبقه من الحكم- مستندة إلى إذنه تعالى كان معناه أن التدبير العام الجاري إنما هو من الله سبحانه و أن كل ما يتخذ من الوسائل لإبطال تدبيره و تغيير مجرى حكمه أعم مما يتخذه الأسباب التكوينية و ما يتخذه الإنسان من التدابير للفرار عن حكم الأسباب الجارية الإلهية كل ذلك من التدبير الإلهي

و لذلك نرى الأشياء الردية تعصي فلا تقبل الصور الشريفة و المواهب السامية لقصور استعدادها عن قبولها و هذا الرد منها بعينه قبول و الامتناع من قبول التربية بعينه تربية أخرى إلهية و الإنسان على ما به من الجهل يستعلي على ربه و يستنكف عن الخضوع لعظمته و هو بعينه انقياد لحكمه و يمكر به و هو بعينه ممكور به قال تعالى وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما يَشْعُرُونَ الأنعام 123 و قال تعالى وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ آل عمران 69 و قال تعالى وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْض‏ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ الشورى 31 فقوله ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ‏ يدل على أن شفاعة الشفاعة أو الأسباب المخالفة التي تحول بين التدبير الإلهي و بين مقتضياته داخلة من جهة أخرى و هي جهة الإذن في التدبير الإلهي فافهم ذلك

فما مثل الأسباب و العوامل المتخالفة المتزاحمة في الوجود إلا كمثل كفتي الميزان تتعاركان بالارتفاع و الانخفاض و الثقل و الخفة لكن اختلافهما بعينه اتفاق منهما في إعانة صاحب الميزان في تشخيص ما يريد تشخيصه من الوزن

و يقرب من آية سورة يونس في الدلالة على شمول التدبير و نفي مدبر غيره تعالى قوله ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ السجدة 4 و يقرب من قوله ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ في الإشارة إلى كون العرش مقاما تنتشئ فيه التدابير العامة و تصدر عنه الأوامر التكوينية قوله تعالى ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ البروج 16 و هو ظاهر

و إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ الزمر 75 فإن الملائكة هم الوسائط الحاملون لحكمه و المجرون لأمره العاملون بتدبيره فليكونوا حافين حول عرشه كذا قوله تعالى الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا المؤمن 7 و في الآية مضافا إلى ذكر احتفافهم بالعرش شي‏ء آخر و هو أن هناك حملة يحملون العرش و هم لا محالة أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع و الخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية و مصدرها و يؤيد ذلك ما في آية أخرى و هي قوله وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ الحاقة 17.[[1]](#footnote-1)

**تکلیف:**

1. ادامه متن المیزان را خود مطالعه نموده و توضیحش را برای جلسه بعد آماده نمایید.

**«**و إذ كان العرش هو المقام الذي يرجع إليه جميع أزمة التدابير الإلهية و الأحكام الربوبية الجارية في العالم كما سمعت كان فيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال حاضرة عند الله معلومة له و إلى ذلك يشير قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ الحديد 4 فقوله يَعْلَمُ ما يَلِجُ‏ إلخ يجري مجرى التفسير للاستواء على العرش فالعرش مقام العلم كما أنه مقام التدبير العام الذي يسع كل شي‏ء و كل شي‏ء في جوفه و لذلك هو محفوظ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفصل القضاء كما في قوله وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ‏ و موجود مع هذا العالم المشهود كما يدل عليه آيات خلق السماوات و الأرض و موجود قبل هذه الخلقة كما يدل عليه قوله وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ هود 7[[2]](#footnote-2)**»**

1. تا جلسه آینده هر روز در یک آیه از آیات قرآن که مربوط به تدبیر عالم است، تدبر فرمایید.

کنایه، عرش

1. ##  . الميزان في تفسير القرآن ؛ ج‏8 ؛ ص153-158

 [↑](#footnote-ref-1)
2. ##  . . الميزان في تفسير القرآن ؛ ج‏8 ؛ ص158و159

 [↑](#footnote-ref-2)